الرقصة الأخيرة

الطبعة الأولى

٢٠١٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر:

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:٦٣١٩/ ٢٠١٤

الترقيم الدولي:

97897-785-068-3-9

سماح الجمال

الرقصة الأخيرة

المحتويات

لحظات باردة ٩
واعتنقت الحب ١٣
مدينتي ١٩
لحظة قرار ٢١
احتراق ٢٧
ماذا تظن قد حدث؟ ٣٣
سالومى .. الرقصة الأخيرة ٣٩
شادي ٤٥
أنا ٤٩
فراق ٥١
نون.. النسوة ٥٥
معك ٥٩
الأول من ديسمبر ٦١
ارحلي ٦٥
اللقاء الأول ٦٧

العودة ٧١
القدر ٧٧
خواطر ٨٣
رجل من ثلج ٨٥
لماذا..؟ ٨٧
وماذا بعد هذا الصمت؟ ٨٩
حوار صامت ٩١
إعلان الحداد ٩٣
القطار ٩٥
الرسالة الأخيرة ١٠١

إهداء

إلى أمي.. تلك المرأة الجميلة، التى علمتنى الحب..

وأمسكت بيدى لنخط سويا أول سطر من سطور حياتي..

إلى من علمتنى أننا ربما نسقط،

ولكن لا بد أن نقف من جديد.

أهدى مجموعتى القصصية الأولى

لحظات باردة

إنها تحفظ رقم هاتفه.. لن يأخذ الأمر أقل من ثانية، فلتضغط على الحرف الأول من اسمه وينتهى كل شىء

وتبدأ عقارب حياتها فى الرقص من جديد.

ستعود ليس للخلف وإنما ستقفز الدقائق وعقارب الثـــوانى

لتكمل قصة حب.

ولكن أتحبه فعلا، أم تحب باقى ساعات عمرها؟

أتحبه أم أنها تحب الحياة وسنين عمـره التى تصغرها؟

أتحبه أم تحب ألوان فساتينها البرتقالى والزهرى وكلمات الغرام ورحيق عطره فوق خصلات شعرها حين يصافحها مقبلا؟

أتحبه أم أنها تتشبث كالغريق بقلب محيط تتقازفه الأمواج؟

لا وقت للعقـــل الآن.. لا وقت للتحليل والممكن والمفروض.. لن يستغرق الأمر أكثر من لمسة وتنتقل لعالم آخر رحب يلفها فيه بذراعيــه.. يخطفها من عالم غير معقول، لدنيا رأتها حلما..

ولكن كلما همت تتراجع..

لماذا تتردد؟

التردد فى دين الحب كفر.

ماذا تنتظر؟

إنه الآن يحمل هاتفه، يلتحفه من قسوة برد الهجــر.. لا يفصلها عنه سوى ضغطة من إصبعها.

ماذا تنتظر؟

فلتغمض عينيها، و تحلم لثوان.

إنها الحياة.. ستقول لـــه كلمة واحدة تعيدها للحياة.. فلتغمض عينيها وتتشبث بأستار كعبة حبها.. كفاها طواف بأفكارها العتيقة.

ماذا يهم إن كان الفارق الزمنى بينهما خمسة عشر عاما؟

الحب يجعلنا نولد من جديد.. ومعنى ذلك أنهما متساويين بالعمر الآن.

نظرات الناس وماذا يقولون؟

على أية حال هم فى كل الأحوال يتكلمـــون..

هل تتبرأ من جنـين أيامها القاسية؟

هل ترفض الفرصة الأخيرة من أجل الآخرين؟

كلا إنه الفصل الأخير.. فلتسرع وتقذف كلماتها قبل مجىء الشتاء، فلن تقوى على وحدتها خلف زجاج نافذة غرفتها المظلم.

إنها تبحث عن اسمه من بين قائمة الأسماء، لكن لا تجده.

كيف ذلك، لقد تصفحت جميع الحروف.

أين اسمـه؟

أمعقول ..

دون أن تدرى ولشدة ارتباكها تم إلغاء الاسم..

أهو قدر لا بد وأن تقبله بإيمان؟.. أم أن عقلها الباطن يرفض أن تكون لصة وتسرق منه أجمل أيام حياته؟.. أم ماذا؟!

أغلقت هاتفها، ورمت بجسدها النحيل البارد على فراشها، وبدأت البكاء حتى غلبها النوم...

واعتنقت الحب...

الحب يجعلنا لا نرى حقيقة الأشياء كما هى ..

فسمة حقيقة أخرى نحيا بها.. لنا منظور آخر.. مقياس سحرى لا يمتلكه كل الناس.. مذهب نعتنقه ونتعلمه ونتعبد به .. كل الأشياء جميلة ملهمة، حتى الألم والبكاء واللحظات القاسية ..

شعور غامض مبهم لا نستطيع البحث فيه أو الاعتراض عليه أو حتى ممازحته حتى يفصح عن تلك المعضلة..

حين نحب نرى القبيح جميلا.. نرى النار جنة.. والسماء دائما مشرقة.. نرى الحرام فى الكتب المقدسة حلال فى دين العاشقين..

نؤمن أننا سنحاسب بين يد الله بكتاب العشق.. لنا ميزان آخر يزن حسناتنا.. لنا باب آخر سحرى نفلت منه.. نرى رحمة الله بنا.. فقد نلنا جحيمنا فى دنيا المحبين على سطح الأرض..

هكذا علمنا رسل الغرام من الأزمان السابقة.. لنا أسرارنا غير المعلنة.. نرى الوجد لابد منه ونرى الدقائق مملة.. ولحظات الانتظار مدمرة..

ما هو السر؟ ما هى التعويذة التى صنعها إله الحب فى قلوب المحبين حتى تغشاهم السكينة وإن كانت مؤلمة.. تجعلهم يطيقون الألم بسعادة ولذة.. ويشتاقون الموت، هذا المخلص من لحظات البعد؟

الصباح غير الصباح.. هى بدأته كذلك.. قامت من فراشها مبتسمة مبتهجة.. ترى ما حولها بالألوان الطبيعية، لا كما كانت تراها قبلا رمادية باهتة قاتمة باكية..

نهضت من فراشها.. إنها عادتها.. السرعة فى كل شيء، لا تعطى لحواسها فرصة للملمت أحلامها ومشاعرها المهدرة بوحدتها على فراشها..

تفتقده.. تتلمس بيديها الصغيرتين بجانبها.. لا تراه ولكنها تشعر بدفئ مكانه.. بلمساته وقبلاته الحانية المتوحشة تتلمس خصلات شعرها فقط.

من دقائق كان يجول بيديه القويتين داخل خصلاتها.. تارة يهذبه، وتارة أخرى يعنفه، ربما لأنه غطى عيونها التى يراها بحيرة يغوص فيها عارى المشاعر لا يلتحف سوى رجولته وعنفوانه..

أين هو هذا الرجل الذى انتصر على قلبها وأعلنت استسلامها وأعطته مقاليد حكم قلعتها العاتية، وركعت لحبه ساجدة؟

أين هو؟.. فهى تعد القهوة الساخنة حتى ترشفها شفتيه كما رشفتها هى فى ليلتها الفائتة.. إنها تشعر أنها تملك مفاتيح الأقدار، وأنها تستطيع ملئ خزائن قلبها من نبع حبه.

إنها رقيقة كنسمة ناعمة، كمطر يدغدغ أحاسيس مراهقة، ولكنها معه هادرة تقتلع جذوره العاتية بيدين صغيرتين..

الحب كالهواء نتنفسه غصبا لا اختيارا، عندما تلامسنا النسمة يتلقاها الجسد فى استسلام..

الحب بوابة لعالم المستحيل، عالم يتفتت فيه المنطق والمعادلات الكونية..

إنها أسطورة أن نعشق هذا العشق ونظل على قيد الحياة الأرضية..

صنعت القهوة وذاقت بشفتيها الرشفة الأولى.. ارتعشت أوصالها.. إنه حبيبها.. كيف أفلتته منها الليلة الماضية؟

كيف تركته بعيدا عنها، وهى ها هنا يلفها ظلام غرفتها الباردة؟

تقوم تتلفت يمينا ويسارا.. تشم رائحته على وسادتها.. ترى عينيه الحانيتين على جسدها.. تشعر بأنفاسه تشرب معها فنجان القهوة.

فتحت النافذة.. تركت نسمات الهواء الباردة تداعب شعرها.. تلخبط كيانها.. ووضعت يديها على قلبها.. هذا القلب الذى احتضن حبيبها ليلة أمس..

أحبته أكثر ليلة أمس.. ستعلنه عيدا رسميا لحياتها.. ستحتفل بهذا اليوم من كل أسبوع..

إنها تحبه.. ولا تدرى ماهذا الحب.. شيء جميل تسرب إليها.. يأتي، ينحدر، يفيض بين جنبات نفسها، يطرح عناقيد على جانب أرضها التى كانت من قبله قاحلة.. فيضان يغرق مشاعر القهر السابقة..

ستعلنه ملكا عليها فى إذاعات العشق.. وتعلن استسلامها.. وتمارس طقوس الحب كاملة فى معبد عشقها..

إنها قررت، وفى الحب لا نملك القرار.. بل انهزمت وأملى المتنصر شروط الاستسلام.. ستكون له شاء القدر أم غدر بها الزمان..

قررت هكذا تحايلت على عقلها، وأوهمته أنها صاحبة القرار.. أوهمته أنها تستطيع أن تفكر، وأن تجمع شتات تفاصيلها من أرض مليئة بالأشواك..

وأنها تستطيع أن تعيش بقرار.. لماذا كل شيء صعب.. لماذا لا نعيش أقدارنا بكل رقة الاستسلام؟

هو الطريق، فإما حياة مع الحبيب، أم ممات يريح القلب من عناء الوحشة والفراق.. دنيا المحبين شقاء وفناء إن لم يتوحد الجسدان ويتلاقيا فى الطريق..

مدينتي

زمن تغتصب فيه الأفكار..
تنتهك عرض الكلمات..وتكسر فيه الأوزان.
وتغرق فيه أبيات الشعر..
زمن عار فيه أن تنطق حرية
أن تتهجى وتحاول أن تتعلم قصائد عذرية.
زمن الممكن والمعقول ليس للمحتمل مكان ولا قضية
القاتل والمقتول وليس للثأر زمان أو حتى موعد محفوظ.
زمن تمزق أجساد الأطفال وتخنق الألعاب ..
زمن أصبح الموت من الأمنيات والقبر المظلم مضجعا
زمن تصلب فيه الأمنيات على أعتاب العدم..
فيه الكلمات جريمة لا تغتفر.
بحق الجهل وقراءة الأشعار تستوجب القتل.
زمن التفتيش عن الأحلام وملاحقة القدر
زمن بيع الأتقياء عبيد وشرب الخمر بالثمن ..
زمن قتل فيه الأنبياء ولم يتركوا فيه الرسل
هذا الزمن فى مدينتى دنست فيه الطهارة والبراءة والأحلام
فى زمن كهذا..هل هناك ثمةأمل؟!

لحظة قرار..

ألم شديد، وجع لا يشعر به إلا من ذاقه حقا.. المخاض.. تلك اللحظات المؤلمة الموجعة التى تتسم بالقسوة والرحمة معا..

هى تشعر الآن أنها معلقة بين السماء والأرض.. تتارجح مشاعرها بين الحب والخوف.. الظلام والنور.. الوحدة والأنيس.. إنها لحظات من الزمن مبهمة مغلقة.. انتظرت كثيرا بكت كثيرا.. حرمت كثيرا، وآن لها الآن أن تسعد وترى القادم من أيامها بنفس مستوى ما تتمناه من سعادة..

ولكنه الألم الذى يأبى أن ينساها.. الحياة هكذا لا تعطى أبدا بهدوء أو بروح طيبة.. لابد لنا من المعاناة والشقاء لنسعد قليلا.

أهو بخل منها؟، أم أنها تقاليد لا بد وأن تعاش؟، أم أنها فلسفة خاصة لا يفهما إلا الذى قرر أن يعيش على أية حال؟، هى هكذا ولا بد أن نتقبلها.

ولكنها ستسعد كثيرا بوليدها.. إنها مؤمنة.. ستعلمه الصلاة وقراءة القرآن.. وأن يتعوذ من الشيطان.. ولكنه ما زال هذا الوليد!

ويوما ما سينضج ويعى ويفهم.. ستعلمه الحب.. أليس صغيرا على الحب؟!

نعم.. ولكن الحب جميل ناعم عميق ساهر،سيضمه ويحمله لبعيد، لأرض أرحب تحضنه وتلفلفه بالنسمات الرقيقة..

الحب سيوجه خطواته المستحيلة نحو آفاق جميلة..

سيكون مثلها، تشعر هى بذلك.. هو جزء منها.. نفس الملامح والأفكار، نفس الحزن النائم فى الأعماق، نفس الأنفاس المتلاحقة المتمسكة بالأشياء.. لذلك تحبه وستظل تحبه، فهو يجرى فى عروقها لا يسكن إلا لحظات ليغفو بأحداقها، هو منها وهى له.

الألم مرة أخرى ينتابها، يمزقها ينعش أفكارها.. إنه الألم الذى يعصف بعقلها.. فلتشغل نفسها بوليدها لتنسى قليلا الألم..

ماذا أيضا ستعلمه؟

ستعلمه أن يلعب بشقاوة وجنون.. أن يحمل بيده فقاعات صابون.. ويلون حيطان الزمن بالونين الأبيض والأسود..

لن يعرف يوما أن هناك لونا آخر يدعى رمادي..

تكره هى هذا اللون.. تكره أن تتلون أفكارها به أو أن ترتديه..

تكره أن تتأرجح بين الأشياء.. تقطع صمت الممكن والمستحيل..

هى تكون أو لا تكون.. تلك المنطقة الفارغة الضيقة الممكنة، والحيرة فى أمرها لا تستهويها..

هى محددة، وذلك ما يؤذيها.. رغبتها الدائمة فى تسمية الأشياء.. عنونة الطريق ووضع نهاية لكل الأحداث.. تنسى أن الدنيا بيدها القرار، وأنها تشاركها، ولا بد أن تقبل صداقتها ولا تعاند الأقدار.

حتى فى أحلامها ستعلمه الرسم، وتمسك بيديه تعلمه أن الدائرة أفضل الأشكال.. فالكون يدور، والأمل يدور، والحب يمشى بين القلوب الفارغة عله يجد من يبحث عنه.. وأن الله اختار الأرض وهى دائرة.. واختار السماء وهى الأخرى دائرة.

ولو سألها أن تقدم البرهان فسوف تحدثه عن الله.. ستعطيه براهين عشقها.. فهى سهرت على الأرض تلفها السماء، ودارت أيامها مع الحب أحلى دائرة، وأنت ها هنا وليدها الآن أفضل برهان على اكتمال الدائرة.. ستعلمه أن الخط المستقيم أقصر الطرق للبحيرة بجانب منزلها القديم.

ستخبره أن الزهرة التى زرعتها باسمه تنمو كل يوم وستثمر حتما لحظة مولده القريب..

ما زال الألم يزداد باضطراد، والطبيب يشد من أذرها، هذا معناه قرب القدوم.. فلتصبرى وفكرى فى أى اسم ستعطيه.. أى الحروف أحب إليها كى تبدأ به اسمه.

إنها تعشق الحروف، خصوصا عندما تتراقص بدلال على السطور، وتتمايل وتتشبث بالنقاط والفتحات والكسرات..

ستعطيه اسما جميلا كيومها هذا، فبرغم الألم إلا أنه أروع ألم ألم بها حتى الآن.

الحركة تزيد والكل يهرول هنا وهناك القادم آت.. أين أبيه؟..

سنحتاج الأب لنكمل شهادة الميلاد، وهى تصرخ وتصرخ وتنظر فى السقف للحظات أى اسم سأعطيه.. أعن يا رب، فالأفكار تتصارع وتتقاتل وتطغى الواحدة على الأخرى كى يأتى قرار..

ماذا يحدث؟

ثوان ويدق المنبه معلنا الساعة السادسة وتستيقذ من نومها، وما زال يلح عليها السؤال، ولم تتخذ بعد قرارا.

إنها تفكر.. أتعود لتكتب قصة عشقها؟، أم تهرب وتترك كل الأوراق؟، أتعود أم تتمهل وتترك بعض الأعوام تضيع؟.. فكرة تشدها للعودة واتخاذ القرار، وفكرة تقفز وتهلل: بل عودى عودي..

لم تستطع النوم الليلة الفائتة.. أحلام وكوابيس.. كانت تحلم بوليد وطبيب والأسماء، ولكن أيقظها المنبه قبل أن تتخذ قرارا على بعد خطوات من مولد القرار.. تعود أم تظل هناك فى الركن البارد القاسى مع وحدتها..

الطفل فى حلمها لم يولد بعد.

ماذا يعنى هذا فى كتاب تفسير الأحلام؟!

احتراق...

إنها السابعة والنصف صباحا ولم تنم بعد.. رغم أنها لا تفكر، وليست لديها قضية يدور بها رأسها كالعادة، وليست لديها نية لشغل رأسها بأى شيء..

إنها قررت ألا تكون شيئا.. قررت الهروب.. أن تنزوى فى بقعة من الأرض وحيدة شريدة.. لا تقوى على التفكير المنظم الذى كانت تفتخر به..

عندما كانت تسهر الليل كانت تفكر به.. بصفحة وجهه، وهى بين يديها، كانت تخرج صورته وتسير بأناملها على عينيه.. شفتيه شعره.. كانت الحرارة تلسع أصابعها..

كم حقدت عليه، ينام ويتركها تلف مسافات الضياع بعيدة عنه.. تفصلها أميال من الضجر والبعد، ولكنها كانت تبحث عنه وعن تفاصيله.

كيف كان يجلس؟ ومع من؟ وماذا يحمل بين يديه؟ كتاب يقلب صفحاته.. أم فنجان القهوة السادة المفضل لديه..

أم امرأة أخرى يعبث معها والليل يحفظ سرهما.. امرأة أخرى سرقته أم هو وهب نفسه لها؟.. لا يهم.. إنه مع أخرى.. تسمعه وترى عينيه وتلمس بشفتيها يديه.. مع أخرى يقرأ عندها الأشعار.. ويسمعها الموسيقى.. ويناما معا تحت سماء الأحلام..

كانت تتكلم مع نفسها حتى ظنت أن الجنون مصيرها والموت نهاية محتومة لحبها.

إنها دائما ترفض النهايات وتخشاها وتهرب من البدايات لذلك السبب.. ولكنها معه لم تهرب ولم تفكر.. استسلمت استسلام الصباح للظهور مستغلا ضعف الليل أثناء الرحيل.

ولكنها الآن وبعد قراره بالهجر المؤقت توقف عقلها وقلبها عن الدوران.. وكانت تظن أنها سترتاح، ستنام بملىء جفنيها وستحلم أحلاما سعيدة ولن تبكي..

تحدث نفسها أنها فى فترة حداد على حبها المسكين، ولد قويا ولكنها تراه يضعف وينزوي.. إنها خارج الحدود وخارج الزمن بأمر من حبيبها..

إنه حب مغشى عليه فى صحراء قاحلة.. حب من لحظة ميلاده وهو تحت التنفس الصناعي.. يلتحف السقيع.. هو جعله كذلك.. ولكنها ترفض الاستسلام.. تهبه من عمرها ليستمر.

إنها لا تفهم معنى الهجر المؤقت.. وماذا يعنى ذلك؟.. أهو درس جديد من دروس الحب؟.. أم طريقة حديثة للهروب ممن كنت تظن أنك تحبه؟.. أم ماذا؟

هو لم يرح قلبها.. تركها معلقة بين سماء هادرة، وأرض قاحلة، وأشواك بقلبها تمزق حبها..

كيف يدمرها وهو الحبيب.. هو من علمها وأسمعها لأول مرة دقات قلبها.. يقذف بها باليم ويتركها وهى لم تتعود يوم على العوم فى بحر الحب الهائج، ولم تخبره..

هل مل جنونها؟.. أم ملها؟.. أم أنه فقد السيطرة على تلك الأميال والبعد؟.. فقرر أن يقتل المسافات ويخنق معها حبها بيديه..

هو الرجل، وما زال الرجل الشرقى ينعم فى خلاياه ببهجة السيد، وأن البداية والنهاية تدور عنده.. هو آدم، السبب فى الوجود وهى حواء المخلوقة منه، ولا بد أن تتبعه، وأن ترضى منه ما يشاء.. ما يعطيها وما يهبها من أقدار سعيدة، تعيسة، لا بد وأن تقبل مستسلمة وسعيدة.. أيا كانت قوة الألم.

لماذا لم تنم؟

لم يعد عندها ما يشغلها، فقدت جنينها المسكين الذى كانت تبحث له عن اسم يليق به فقد جاءها بعد سنين حرمان..

لماذا تتركه يتحكم بها، هو رفضها.. لم يرد على رسائلها تجاهل اتصالها.. اتخذ قرارا وكان سيده.. ولم يترك لها رأيا تعرضه أو تناقشه..

تعامل معها بعلو وكبرياء، وترك لها فتات التفكير، ومنعها من متعه النقاش معه.. تفتقد النقاش معه والحديث.. إنها تفتقد فيه كل شيء: حبه وحنانه وقسوته وعصبيته، وحتى تعنيفه لها.

لماذا هى بهذا الضعف والوهن؟.. لماذا تستسلم له وتعلن دائما الخنوع؟.. أعندما نحب نفقد كل ميزاتنا، نتنازل عنها ونستلذ الذوبان فى المحب؟

هى تحبه رغم كل شيء وتبرر دائما له أنها المخطئة، ولكنها ترفض الآن هذا الوضع..

إنها ستتركه.. هو اتخذ قرارا مؤقتا، وهى ستتركه ولن يراها بقرارها وسيكون قرارا دائما..

ستحرمه من نشوة الانتصار عليها.. كم هو جميل أن نتخذ قرارا يحرقنا ونبكى ونبكى ونرضى بالعذاب، ولكنه قرار يشعرنا بالقوة.. قرار يرفع من شأن الانتصار ولكنها تستطيع أن تصمد كما صمد هو..

تشعر بالراحة فى هذه اللحظة، راحة المنتصر بعد نزال شديد ومعركة مهلكة نجا منها.. راحة المسافر بعد سفر طال وغربة مملة ليست باختيارها.. كانت مسيرة ولم تكن رغبتها شيء ما يجذبها للهروب تحت مسمى الغربة الكئيب.

أهى الحرية بهذا المذاق، بهذا الطعم اللذيذ.. حرية أن نملك قرارا وإرادة.. ألا يعبث بمفاتيح قلوبنا سوانا لتوجيه الدفة لمن نشاء وقتما نشاء..

الفرحة إنها عادت تملك قاربها وتستطيع أن ترسو به أينما طل عليها الشاطيء، غير عابئة بمن ينتظرها..

تنام تستيقظ وقتما تشاء، لا يتحكم أحد بمرآتها، ولا كيف عليها أن تبدو وأن تترك لشعرها العنان والشطط وعدم الترتيب.. وتترك عيونها بمسحة الحزن.. لا تدارى ما بها من دموع وأنين.. تبعثر مشاعرها الحزينة ولا يعنيها من يتلصص على جسدها ويراها تذوب حبا وألما..

وسترتدى الأسود الذى تحبه.. وتشكو للبحر الهائج ما بقلبها وهو على سرها دائما أمين.. لا أحد يلعب بقدرها أو يأمر أحلامها أن تقفز أو تهدأ.. إنها كالبحر الهادر تهدى صدفاتها لعشاق الليل، وتمنع الدخلاء من شواطئها البعيدة..

ستعود وترتشف القهوة مضبوطة.. فمن أجله كانت تشربها مرة مرارة الفراق الذى تشعر هى به الآن.. هى لن تتنازل عن نفسها، ولن تأوى إلى كهف فى تل العشق المهجور. ولكنه هو نفسها بعض من كلها به تتنفس وبه ترى الحياة .تجتر أحزانها وتبكى على قلب مطعون. ولكن هل تستطيع على هذا الاحتراق؟! إنه احتراق..

ماذا تظن قد حدث ؟

لم أبك..لم أصرخ؟

لم أكسر قنينة العطر؟

لم أكفر بقواميس الشعر؟

ولم أشعر بالعار؟

أنا لا زلت كباقى البشر

حاورت مرآتي

رتبت شعري

تكحلت بمكحلتي

ووضعت أجمل فستان عندى على جسدي.

ماذا تظن قد حدث؟!

سهرت مع غيرك

وسمعت شعرا من غيرك

راقصنى بكلماته

وبصمته صال وجال غزواته

على قلبى بين عيوني

وفوق شعري

ما زالت بصماته

داعبت أصابعى خصلات شعره

وعزفت بهمجية أجمل الحانى

وقال إنى فراشته

وإنى لحظات جنونه

وكأس خمرته

وحكايات غرامه

وإن كفى تشعل

أشجانه فلا تتوقفى

وعودى لقرون همجية

عرافة أنت تلعب بالأقدار

فوق سنيني.

وقد وعدته...

وأحضر لى باقة ورد

أنا لا أكذب عليك.

لقد قرأت أجمل الأشعار..

ولم تكن أبدالك.

ماذا تظن قد حدث؟!

فالسماء ما زالت فى السماء

لم تمطر ذهبا

والأرض تلف وتدور

ولم نزل

والنجوم لم تسقط وتنكسر

والبحار تهدر ومازالت تنتفض

والرياح من الشمال للجنوب

والرمال تغلى وتفور

والجرائد تصدر كل صباح

والأخبار كما هى لا تسر الثائرين

وما زال العشق فى الدنيا حزين

وما زالت الأيام حبلى بالأنين

ويتعبد الشعراء على كل دين

ماذا تظن قد حدث ؟!

اذهب كما تشاء

فلدى منك ما يكفى سنيني

كلمات..وأشعار.. وبعض من رواياتك

اذهب لبعيد عني

واتركنى

انساني

مزق بيديك قلبى ..وزد شقائي

اذهب كما تريد وقل وداعا

فبعد الوداع لوعة وجنون

وما أجمل لحظات حنيني

اذهب وعد واعتذر

سأقبل كل أعذارك فأنا فى حبى كريمة

رقيقة. أسامح ..مشتاقة أنا اليك

ماذا تظن قد حدث؟!

علمتنى كيف أكون أنثى

تهوى السهر

تسكرها الكلمات

وتحرقها اللمسات

وأن الحب دين الأتقياء

وأن المحب لحبيبه فناء

وأن البعد عن المحبوب شقاء

وأن غير الحب كفر ومعصية

وإنى فى دين الحب لن اضيع هباء

أتذهب وتتركنى هاهنا؟!

أشعر بالبرودة والضجر

أشعر وقلبى قد انشطر

فأنا أنثى فقط بين يديك

ودفىء بعض منك

لا تصدق كل كلماتى ...

فأنا أصرخ .. وأبكى ..وانكسر..

أنا أنثى وأنت رجل...

سالومى .. الرقصة الأخيرة

ترقص مذبوحة، على موسيقى جنائزية، تتوشح السواد، والأرض من تحتها شوك ونار، ولهيب بين أضلعها.

أنفاسها تتلاحق، ولا تستطيع أن تلحقها بخطواتها الملتوية الواهنة.. لتتمهل قليلا، فهى ستموت موتة واحدة، فلتشعر بتفاصيلها وكأنه السم يسرى بعروقها فيصيبها بالرعشة والبرودة، وهى فوق لهيب يتوهج.

تتسارع دقات قلبها، تنزف عيونها دموعا تغرق مشاعر غطت الكون.

أتكون سالومى الجديدة وترقص رقصتها الأخيرة التى سيذكرها التاريخ؟

ولكنها لم تكن أبدا بغيا.. قل عابدة فى محراب حبها، أو قديسة من زمن الرومان.. تجمع الزهور من البستان وتنقش لوحات لربيع قادم.

إنها ما زالت تحبه ولن تترك حبه، فهو ليس بقرار أن نحب وأن نتجاهل هذا الحب.

هو قرر ولكنها لا تستطيع.. ستعيش الظل معه أينما وجد.. إنها تعلمت أبجديات الحب منه، علمها أن تضحك وأن تبتسم.. أن تكون طفلته المدللة وأنثاه المثيرة.. علمها أن تجادل وأن تصمت.. أن تناقش وأن تقبل، أن تحبه، وأن تموت فى حضنه.. علمها القراءة وأن تختار ما تقرأ.. ألزمها أن تقرأ وأن يصحح أخطائها..

قال إنه أحبها وأنها نصفه الآخر الضائع من سنين.. قال إنه حبيبها وابنها، وأنهما معا يصنعان إنسانا سليما.

علمها أن الحب نقاء وطهر ولا يخلو من جسد نشتهيه.. علمها أيضا أن تنتظره، وأن تجالس النجوم كثيرا، وأن تحاول أن تهدأ.

علمها الحياة بتفاصيل جميلة، وعلمها البكاء طويلا..

عاشت معه جنون الحب بكل معانيه صالحها على زمانها..

وحين ذاقت الحياة وأحبتها تركها نهبا للضياع.. تاه الطريق منها الذى بدأته معه.. لم تعد تدرى أتكمل المسير أم أنه جاء أوان الرحيل .

قرر أن يذبحها.. أن يغتال الحلم منها.. أن يقضى على الباقى من أيامها.. قرر وكأن الحب مهمة عمل إن نشأ ننهيها.. أو وجبة نلتهمها ونشبع..

لم يدر أنها لم تشبع بعد، وأنها تريده.. تشتهى ثمره ورحيقه ..

علمها كل شيء إلا أن تنساه.. تلك الصفحة الأخيرة من كل كتاب.. لم يعلمها حروف كلمة النهاية.. كم هو بخيل، هى تعرف ذلك الآن.

ولكن هل تستسلم لعناده وكبريائه، أم تنسى كبريائها وتقتل أحلامها.. إنها تحبه وتعرف عنه ما لا يعرفه هو عن نفسه.. وترضى منه ما لم تتوهم يوما أن تقبله من إنسان..

تحبه وفى الحب يتلاشى الاثنان لكيان واحد ممزوج بدموع وآهات وسخاء وبخل بمشاعر متفرقة مجنونة تقفز فى كل اتجاه.. تحبه وقررت عدم الاستسلام..

ستكون رقصتها الأخيرة.. الموت أو البقاء.. ستختار أجمل الألحان الهادئة الصاخبة المطروحة فى كل مكان، وسترقص على أرض قاسية مرتدية فستان أسود غامض مثير قاتم، مع لون عينيها الدامعتين.. ستحرقه بمشاعرها القاسية التى تركها لها.

هو كذلك حتى هاتفها لم تنتظر حتى سلامه بعض كلامه طرحت قلبها بين يديه تبكى منه إليه تبكى حب لم يمت بعد لدبه.. هى تستطيع قالت له ولكنه دائما ما يقطع حواره بالصمت القاتل ..

ماذا يريد منها؟.. إنه يحملها كالموج لأعلى، ويطرحها لعمق البحر السحيق.. تجابه أمواج وأعاصير وعوالم غامضة.. لماذا تتمسك به؟ لماذا تقبل أن تكون ولا تكون شيئا لديه؟ لماذا تقبل الظل والبرد فى علاقة غريبة مريبة؟.. لماذا لها حياتها الهادئة؟

شيء ما فيه يخطفها.. ينادى لها أن آت، وعندما تصل إليه بعد عناء يختفي.. فقاعات هواء.. سحابة تحمل بعض الأمطار وتبكيها فى ليلة ظلماء..

ماذا به؟.. كيف يحتفظ بقسوته هذه الباردة وهو كله دفيء وحنان.. يحمل جميع المتناقضات.. هى أيضا مثله فى كل الأحيان.. ولكنه الأقوى والأشرس فى علاقتهما..

ترى ماذا يخبئ لها قدرها؟..

هى لن تستسلم.. ستسير الطريق للنهاية حاملة شمعة مضيئة علها تصل لمكان.. قلبها يرقد كل يوم على المذبح وتقدمه قربانا عله يشعر بدقاته ونبضاته.. هيهات كيف خلق هذا الرجل وأى امرأة وضعته وربته.. كيف تعلم أن يقسو وأن يذبح ببرود؟..

أى امراة أذاقته الحب وغدرت به وتركته ينتقم من كل نساء العالم بشراسة المفعول به؟..

لم تنسه وتقسم على قلبها أن يحتمل معها هذا الحب المدمر.. ولكنه الحب الذى يأتى بالعمر وليدا وحيدا وليس له آخر يؤنسه..

لن تتركه حتى لو تركها، هى تريده.. تريده عنوانا لها.. روحا تسبح معها.. لغة تتفاهم معها وتتقنها.. أشواكا لوردة هى رحيقها.. أحبته كما أحبت أفلام الكارتون وهى صغيرة، كما أحبت ضفائرها الطويلة الناعمة وهى صبية.. أحبته كما أحبت أول يوم اكتشفت فيه أنوثتها.. كقطعة موسيقى رومانسية فى ليل طويل بارد.. كحلم خطفها وطار بها لعوالم خرافية..

أحبته فتاها الأول.. كقصيدة شعر صاخبة فى ليلة شتوية.. أحبته كرجل اكتملت به أنوثتها، وخاضت يديه معالم جسدها.. رجل أذاب جليدها وهداها للشمس تعبث بها وترجعها وردة حمراء ملتهبة..

كيف تترك من جعلها أميرة أو ملكة لقصة حزن طويلة مؤلمة.. من عرفها أبجديات الكلمة.. وكيف تنطق الحرف السليم. ولكنها دائما النهايات الشرقية؟

شادي

ما لهذه العلاقة التى لا تنتهي.. كلما ظننت أنها انتهت وتلاشت تعود أقوى؟.. ما لهذا الحب الأثير، ما إن تتقطع شراينه حتى تنفجر آبار الدماء تخط أجمل ألحان الحياة؟..قطرات تتراقص وتتمايل، سطور خطها الحب بعمق بتضاريس، ولم تلعب يد الأقدار، ولا شاء الزمن أن يترك تجاعيده على تلك العلاقة.

سنوات مضت بأيامها وساعاتها، بدقائقها الرتيبة والسريعة..إن البعد جفاء كما يقال، لم يترك للقلب عنان الحرية، ولم تغلق مفاتيح القدر أبواب عمق القلب ليتحرر الجسد..

سنوات مضت وتغيرت فيها الألوان، فالأسود زاد سوادا، والأبيض تلاشى فى باقى الألوان..

سنوات مضت، صيف وشتاء وخريف وربيع، تصالحا واتفقا على أن يمضى كلاهما قرير العين دون عناء، دون أن يترك ملامح كينونته..

سنوات مضت ولا يزال القلم بيدها، يداعب أفكارها حينا، ويعبث بحروفهاالشريدة فى كل بقاع الأرض دون خجل حينا آخر..

هذا الصوت الحزين والأغنية الأثيرة إلى قلبها وقلب حبيبها.. لا يزال حبيبها بعد كل هذه السنوات!.. جاء المذياع بصوت شادي.. تلك الأغنية التى تزلزل كيانها.. تلك الأغنية التى طالما لمست يديه خدها، لتمسح دموع قلبها، كم كانت تحبها وتحبه بكل دقات قلبها.

هل من المعقول أن يستيقظ الحب من جديد، وتخلع الرتابة حزن سنين افتقدت فيها حنينها سنوات وسنوات؟..أيتذكرها مايزال؟.. هل يسمع شادى مثلها؟ ..

همت بهاتفها تحدثه وتبكى على أعتاب قلعة حبها: أين أنت ولمن تركنا شادي!؟.

تركت برودة السنوات تعبث بجسدها النحيل.. قطع صوت طفلها عليها جميع الطرقات.. تركت هاتفها، وجمعت أشياءها وذكرياتها ونغمات لحن حبها وذهبت إليه.

أيقظها نداء طفلها، لبت ندائه وسحقا لنداء قلبها..بكت دون صوت، دون عبرات دون دموع..أصعب بكاء هو بكاء الصمت داخل العيون.

يا نفس عودى وأهدأي، لا تحزنى واصمتى وتنفسي.. لكنها أنت التى خبرتها والتى أذاقتنا العذاب لحظات ضعفها..

يا نفس مالك أنت والأحزان، فاللص السارق لم يسرق حديقتك ولا البستان، ولا زالت الألوان تلتحف حوائط المكان..كل ما هنالك أنه أقسم ليسرق جارا كان يوما يسكن معك فى تلك الأحزان.

فاهربى بذكرياتك الثمينة وهداياك الجميلة من هذا الزمان..لم تجد نصيحة عقلها لها، لم تتقبلها وتعى كلماتها، لا زالت تحبه، ولن تنكر ذلك. أعادت الكلمات قلبها ليدق من جديد، أحيت ذكرى مولدها بين كف حبيبها.. أين هو الآن؟

راودت نفسها عن حبها، همت به تحدثه وتعيد معه خفقان قلبهما معا، ستقول له إن حياتها لم تكتمل ولا يزال عهد الحب وقول المحبين

هو ليس حرام، فالحب شريعة ومملكة.. دين ووطن وأنت وأنا كل الوطن.. ليس حرام أن يقوم قلبها بعمله، فقد خلق ليدق دق العاشقين.. ستقول أيضا له إدن منى أكثر لترى قلبى فى دموعى لا يستكين، ولحظتها ستمح كل أوجاع وعذابات السنين و لن يتركها..

سيحضن بيديه القويتين حلمها ويحنو حنو العابدين.ستلومه وتؤنب فيه الحب.. لماذا لم يسأل عن شادى كل هذه السنين؟

ستسمع كلماته وقبل أن ينهى الحديث وقبل أن تعى المعانى والأحداث ستغفر له حتى لو لم يتكلم ستغفر له..ما أجمل الغفران خلق لها لتسامح، وتنسى وتحضن حنينها وتغفو بين ذراع طفلته المجنونة كما كان يسميها. هل ستفعل؟! كلا لن تجرؤ.. ما أبعد السنين....

أنا

اعرف أنى قصة مستحيلة

بل أكثرمن درب جنون

أعرف أنى جنة ونار

أبيض وأسود

موت وحياة

أنا كل الأشياء

أحيانا طفلة تلهوبالماء والضحكات

وأحيانا انثى تتدلل وتفك جدائلها

واحيانا امرأة تشعل نارالتحرقها

فتحترق.

فراقٌ

على مقهى بنهاية الطريق.. الذى تعود ان يلتقيها فيه.. الموعد ما زال مبكرا..

جلس وحيدا يفكر ماذا سيقول لها.. كيف يقنعها ألا تتركه.. سيقول لها.. لا تتركيني.. بغيرك لا أكون لا تتركينى فأنا منك.. لا احتمل البعد عنك ولا أتخيل الحياة بدونك.. بل أية حياة ستكون بدونك.. بدون أشيائك.. كلماتك.. نظراتك.. أو حتى صمتك واعتراضاتك..

لا تتركينى .. أنا بك أتمسك بعمرى القادم .. أتشبث بأعاصيرك كى أحيا وأتجدد.. بأنفاسك أكمل أنفاسى .. لا أحتمل الفراق صدقيني.. فالحب يحملنا لواقع آخر .. لجمال افتقده إلا معك.

أنت امرأة عبثت بأقداري.. رسمت بريشتها دقائق أسرارى .. لا تتركينى هائما بعدك تحط وتعبث بى خطواتى ..

يا امرأة حفرت مجرى حياتى .. لا تتركينى فى صحراء وبواد أجهلها.

ولكنه تذكر أنها تكره الضعف.. وأنها تفهم حبه ضعفا وعشقه لها ضعفا .. أية امرأة هذه التى تكره تعبيرات الحب.. وأن يعشقها رجل.. ويخطفها لنفسه .. ويهرب لعوالم أخرى من أجلها وبها.. ولكنه ليس ضعيفا، إنه يحبها وقوى فى هذا الحب.. لن يتركها لنفسها.. هى تلهو.. تعبث .. لا تعرف ماذا تخط بيدها الرقيقة من مأساة هو بطلها وستكون هى ضحيتها ..

مازال يفكر.. شريدا.. يتذكر.. بعينيها يتشبث بالأمل يمين يسار عله يجد إجابة ولكنه تذكر عيونها.. ثلجية لا تحمل أى حقيقة.. قاسية لا تهوى حتى التعبير.. هو يعرفها ..

كثيرا يسأل نفسه كيف أحبها ماذا بها غير البرود والقسوة والعبث؟..

بعد قليل ستأتي.. ويجلس أمامها وكأنها المرة الأولى.. هكذا يشعر أنه يكتشفها يتعرف عليها يسمع منها دائما.. كلماتها ليست دقيقة.. معانيها مبهمة.. تفسيراتها لا تخضع للمنطق وأفكارها متطرفة لا تعرف للحب هدف ولا تملك منه نصيب .كيف سيصل اليها.. كيف يفهمها؟.. انه مازال يحبها رغم أنها لا تستحق ..هو يعلم ذلك.. ولكن لماذا يتمسك بها.. أهو تعود.. أم ماذا كيف أحبها وهى ذلك الشيء الثقيل.. المعتم.. الفارغ .

وفى لحظة استوعب ما قال .. وامتلأ دهشة.. كيف تجرأ عقله وجردها من تلك الهالة المقدسة؟.. بل كيف صمت قلبه لهذا الخطأ.. ماذا حدث له.. من أين أتت تلك الجرأة.. لم يكن يدرى أنه يمتلك الشجاعة ليجردها من حبه.. وأن ينتزع المشاعر التى كانت لها عنده.. متى تأتى لترى؟ لقد أفلحت فى قتل مشاعر كان يعيش بها.. قتلت حياة كان يريد أن يعيشها معها..

تأتى لترى كيف أصبح.. تمرد عليها.. هى لن تعرفه.. أتريده قويا؟ سترى رجل يرفضها يزهدها.. ماذا عساها تفعل ؟

نون.. النسوة

إنها شخص كامل.. قلب وعقل.. مشاعر وأحاسيس.. قرارات وقناعات.. أشعار وروايات.. أنثى وطفلة.. أحلام وشقاء.. جنة ونار.. ورد وأشواك.. دموع وآهات.. هى متناقضات.. أشياء عدة مختلطة، ولكنها تكون لوحة متكاملة بكل التفاصيل والظلال.. كيان لا يقبل القسمة، ويرفضها، ولن تطرح نفسها لمزايدات تقل من قيمة ذاتها.. هى استوعبت.

هى تعرف ذلك الآن.. لن تتبع أحدا، بل سيتبعها الآخرون.. لن تسمح لمشاعرها أن يرفضها رجل أو أن يأمرها رجل أو يجعلها تتسول عطف أو يشعرها بشقاء .

تمردت على نفسها تلك العصية.. قبل تمردها على هذا المذكر .. إنها تسيطر الآن على الأرض وتضع قوانينها ودستورها ولديها إشعارات تخبره بها.. لن تقبل بأقل من الانصياع والاذعان لها.. قضى الأمر.

بل أكثر قررت أنها من يبدأ.. ولن تترك لهذا الرجل أن يفرح، أو يستأسد.. بعد الآن ستكون البداية للتحرر والاستقلال عنه.. ستعلمه وتخبره وبكل رقة.. هو. ما هو؟.. لا شيء بدون تلك النون.. أجمل نون.. وأرق نون.. وأحن نون.. أنت لا شيء بدوني.

لمن تكتب الأشعار.. لمن تتعطر.. وتتخير أجمل القمصان.. لمن تحمل بمعصمك ساعة لتواعد.. لمن تجلس على المقهى وتسمع الأغنيات وتنتظر.. لمن تحمل الأرقام على هاتفك.. لمن تقول حبيبتي.. وتعود وتعاند وتكابر؟

كفاها إبحارا فى سفينته، كفاها انتظارا على مرساه تتلهف نظرته.. لم تعد تلك الوديعة التى تبكى بين يديه .. قسوته علمتها .. هجره أجبرها على أن تذيقه من نفس البئر المالح، ولن تحزن ولن يرق قلبها.. فقد انتهك من قبل كل مقدسات عشقها.. لن تعود عابدة فى محرابه.. تتلذذ بالتبتل ليل نهار.. لن تصوم عن الحلال زهد العابدين.

هى هذه اللقطة الجميلة باللوحة الزيتية، تمثل بحر هائج ليس له قرار أو قطعة موسيقى صاخبة بهدوء.. أو رقصة غجرية تتلوى بوجع.. هى

تعرف من هى الآن، ومن هم هؤلاء الرجال.. هم قصة مرضية تحتاج لطبيب نفسى لا حبيبة.. كل يحتال ليصل إليها، وهى لن تصدق الذئب وتعطيه قلبها، وتعود وتبكى كالصغار..

أصبحت أكبر مما تظن.. ولن يقدر رجل عليها بعد الآن.. فهى قررت وأعلنت الاستقلال ولن تسمح بانتهاكها أو أى نون..

معك

عندما أقرأ أو أكتب أو أسمع شعرا.. أكون معك

عندما يأتى المساء ويحل الظلام ويلفنى السكون .. أكون معك

عندما أصحو مبكرة وأشرب القهوة على عجل لأحدثك.. أكون معك

عندما يغضب طفلى ويصرخ رافضا ويحتار عقلى .. أكون معك

عندما تفتقد روحى همسك لأنك لم تحدثني.. أكون معك

أنا معك..معك.. معك

الأول من ديسمبر

كل منا يخلق لنفسه ستارا يقف خلفه .. يتكلم من ورائه..يسمع العالم ما يريده عبره .. يخبيء مشاعره أو يخرجها لحظة لحظة حسب الحاجة.

لكل منا ستار ..أبيض..أسود ..أو مجموعة الوان ..ولكنه فى النهاية ذلك المانع أو الساتر الذى يفصلنا عن العالم الآخر ..ذلك العالم العبثى لدينا.

ذلك العالم الذى وجدنا به ولم نوجد بأرادتنا الحرة..جئنا هكذا بين ليلة وضحاها كنا وكان المولد والبداية.

كل منا له أحلام وأمال تكبر ..تصغر.. إلا أنها لكل منا هى كل كيانه وأمانيه كبيرة لديه..عميقه. تحتاج التنفيذ.

ينفق كل العمر فى سبيل تحقيقها ..حتى وإن كان يجرى وراء سراب ولكنها فى النهاية أحلام والحلم عكس الواقع والحقيقة.. كل منا له ستار يحميه من عيون الآخرين .. من الفضول والقسوه والغباء .

ستار هو فى الواقع سراب.. نلهث ونحن نجرى ورائه على أمل الحقيقة ولكنه يظل وهم ضائع.

وهى قررت أن تضع ستارها على عينيها.. أن تحمى عيونها من اللصوص من يتلصص على أحوالها من يحاول أن يخترق جدار الصمت ويقفز فوق أهدابها ويعبث فى ثنايا روحها ليعلم عنها .. أن تحمى حياتها بسياج وضعته على بوابة نفسها وارتدت ستارا سميكا معتما مظلما لا يقهرهابل يقهر من يريد أن يعتلى ضميرها أو خلجاتها أو يعرى مشاعرها ويخترقها انها وضعت ستارا صلب متين ولن تسمح أن يعبث عابر سبيل بها. إنها تخاف المشاعر والأحاسيس تربت على الحلال والحرام ..على المسموح والممنوع .. على الخجل من ان تتكلم عن قلبها .. او ان تعبر عن مشاعر ينبض بها قلبها .. لا يجوز مجرد التفكير..

وهل الحلال والحرام يمنعها أن تعيش.. أو أنها تمتزج بمجتمع خلقت فيه ولابد أن تكبر به وسط أفراده ..لماذا قررت الانسحاب ..الهروب ووضعت مسميات وقوانين تحمى هذا الخيال ..تحمى نفسها من من ولماذا وماذا حدث؟

لماذا لم تكن تلك الفتاة التى تتكرر فى كل الشوارع والبيوت والحارات والكتب والمجلات؟ ما المختلف فيها لتغلق جميع الأبواب وتخاف أن

ترى ضوء الشمس أو نور الصباح ..لماذا خافت هى ضاعت فى الظلام الذى كتبته على نفسها وتبكى الآن؟

إنها تقرأ روايات الحب وتبكى على البطلة لو مات حبها بالفيلم .. تتأثر عند سماع قصص الغرام من صديقاتها وتشاركهن النصائح .. وتتشاور معهن عن المفروض ..

ولكنه ممنوع عندها أن يقترب منها إنسان أو أن تسألها صديقة عن مشاعرها أو حتى تتخيل نفسها بطلة إحدى الروايات..دائما تتذكر أول رجل حاول ان يقترب وكيف نجحت فى أن تحمى نفسها منه ..كيف كان مصمما على الارتباط بها وكيف استطاعت الفكاك منه .. ولكنها الآن تندهش لماذا رفضته لم يكن به أى عيب ..لماذا تركته يذهب لصديقتها وحضرت فرحها .. ما هذه القسوة التى تعامل بها عمرها؟ .. جردت سنينها من رحمة الحب والرفيق والزوج والابن ..يالاالقسوه حين نوجهها لذواتنا قبل الآخرين .. وبالا ما فعلته بعمرها.

عليها أن تتحمل.

عابر سبيل .. وهل بعد أن ولى العمر هناك عابر سبيل ..غير المرض والأرق والوحدة؟

إنها تحتفل بعيد ميلادها بمفردها كسابق الأعوام ..هذه مأساتها كل عام تتكرر قصتها تستعيد شريط ذكرياتها ..وتتفحص صوره وهى وحيدة تشعر بالبرد. إنه الأول من ديسمبر ذكرى ميلادها ..

لماذا تبكى الوحده الآن ..لماذا تفتقد أن يدق بابها ويأتى المهنئين .. أو يتكلم هاتفها بأصوات المحبين .

أى محبين؟ هى وضعت السياج ..وعاندت عقلها وقلبها ونجحت فى أن تروض مشاعرها ..انتصرت ..

لماذا تبكى الان ..انها ذكرى ميلادها المنسى ..

لوعادت السنوات.. هل كانت وضعت هذا الستار؟ من يدري..

ارحلي

عفوا لم أعد أحبك فارحلي.. فأنا الآن مشغول بغيرك.. أتظنين أن الحب امتلاك، وأنك تسيطرين وتعبثين وتستبدين بكل اشتياق؟

عفوا أنا مشغول.. وهاتفى مفصول.. وكلماتى إليك ستكون درب من الجنون. حتى لن أسمح لك بأن تحلمين.. أتفهمين؟.. فلترحلين.

عفوا لأنى اقتحمتك.. لهوت بك واختبرتك.. فأنت يا طفلتى ما زلت لم تكبرين. وأنا من أنا لن ألهو، ولن تكونى لدى أكثر من رقم.. هل تفهمين؟

عفوا بيننا شيء عظيم.. ولا تسألين .. أهو حب أم صداقة أم شيء من هذا القبيل؟ وماذا تفيد الإجابة إن قررت أنا أن ترحلين؟

لكرمى سأكتب إليك بين الحين والحين.. ولكن لا تقربين، فمسافة بيننا لا بد وأن تكون لا تتخطين..

عفوا فأنا مشغول بأشياء كثيرة.. بها.. بي.. بجنة سعيدة.. وأنت لابد وأن ترحلين.. ولا تسألين.. فأنا من أكتب القصة، وأنت فقط تقرأين..

اللقاء الأول

هو : من تكونين ؟ وهل التقينا قبل ألا نلتقى ؟

هى : عروسة البحر أنا وهل التقينا.. ربما وربما؟

هو : إجابات حاسمة يحسبها الغافل مبهمة.

هى : ولكنها لك ليست مبهمة.

هو : منذ متى وأنت أنت؟

هى : منذ خلقت الأرض وكتب اسمى

هو : ومتى تغيرت؟

هى : عندما أخاف شيئا لا أعرفنى أشعر أنى غيرى.

هو : بعضنا يتغير حينما يعمل .. حينما يتزوج .. حينما ينجب ..حينما يلتقى بأحدهم

هى : عندما نعمل قد نخاف الفشل . عندما نتزوج قد نخاف خيبة الامل .عندما ننجب نخاف من كثرة الحب .حينما نلتقى نخاف الفراق. إذن كما قلت عندما أخاف.

هو : فى أيهما كان خوفك وهما ومتى صدق؟

هى : سؤالك صعب أنت دائما تحاصرنى تجبرنى أن أواجه سؤالك بإجابات تعرينى. أنا بأى عمل لم أفشل .. أنا أفشل حين أريد وأوافق على الفشل.. بزواجى لم أفشل قد يتأرجح ولكنه متين .. بأولادى لم أفشل بعلاقاتى مع الآخرين أتألم.

هو : كل الزيجات المتأرجحه ناجحة.

هى : أكره الرتابة بالعلاقات أحيانا أنا من يصنع التأرجح حتى اقول أنا هنا.

هى : تضحك !! وإذا أنت معى.

هو : أخشى أننى معك .. نحن متشابهان.. هل نلتقى كأصدقاء الأيام لا تمنحنا الفرصه كثيرا.

هى : أتمني

هو : إذن الليلة.

هى : إذن الليلة.

هو : سألتقيك.. واستعد لمقابلة الأميرة.

العودة

الغربة.. هذا الطريق الذى إن بدأناه فمن الصعب أن نتراجع عنه.. طريق طويل مظلم وإن أثمر فهو قاحل، وإن أمطر كان صيفا ملتهبا.. الغربة تظل هى الحالة من اللا وعى لمن يعشق وطنه وأهله.. حالة أن تكون غير أنت، وأنت تعى ذلك وتقر بوجود ساعات قلق وألم غير مبرر، إلا أنك تعرف أن الغربة سبب.

كانت تتوهم أنها بعد سنين قليلة ثم تعود لحياتها.. إنها لا تستطيع أن تترك من تحب ووطن وحلم.. شوارع وأزقة كبرت بها.. حدائق مرحت حولها.. وأزهار كانت تداعبها فى مجيئها ورواحها..

مدرستها من هنا.. وهنا السنيما والمسرح.. الأوبرا والقاهرة والبحر والنيل.. والأصدقاء والضحكات والدموع.. كيف تترك التفاصيل الدقيقة التى كانت تهتم بها.. وتغلق كتاب حكاياتها الملون.. كيف استطاعت؟

ولكن السنين مرت كما تمر الأيام، ومن الممكن أسرع من ذلك، لكنها لم تشعر بذلك..

اكتشفت أن أعوامها مرت وأنها فى رحلة الغربة فقدت من فقدت ولن تستطيع أن تعود كما كانت، كما تركت الأرض والوطن والأهل والذكريات ولكنه نسيان مؤقت.. وإن طالت غربتها فهى مؤقتة لا بد وأن تعود.

هى كبرت بالعمر بحسابات السنين، ولكنها ذلك العمر الأخضر الندى اللين الذى مازال يداعب الحياة بحياء ويخطو الخطوات بطيش وشقاوة.. لم يكبر قلبها ولم يستسلم لقسوة الأيام، دائما ما تقابل مشكلاتها ببعض بكاء تبدأه ثم تمسح دموعها بيديها الصغيرة وبكل عناد فراقها لأرضها تصمم أن تكمل وتكمل مشوارها.

إنها رحلة مهلكة للنفس الحالمة وهى نفسها كذلك.. لم تكن غربة مكان فقط بل كانت غربة مشاعر وأحاسيس وأحلام.. غربة ألوان، وغربة معانى حتى الألحان والأغنيات..

حين نبعد وندخل عالما آخر ليس عالمنا نحن.. نسلك ممرا طويلا ضيقا ملتويا مظلما.. نسير ونسير ونرى سرابا.. سماء ونهارا.. ونمشى طويلا ولا نحصد سوى هواء فارغ حتى من الأكسجين الذى نتنفسه.

الغربة حالة تلون الأشياء الأبيض أسود والأسود مربعات متداخلة تأتى وتذهب.. مشاعر غريبة لا تتركنا إلا ونحن نغرق ببحار دموع سكبناها ونسكبها دون وعي، ودون إرادة..

إنها دوامة تدور لا تتوقف، تسرقنا من حيز وجودنا وتتركنا بمكان عميق لا نرى الأشياء، لا نشعر إلا بشيء يجذبنا للأعماق حتى وإن حاولنا الإفلات لا نستطيع.. ننجذب وننجذب دون شعور دون مقاومة ونغرف جسد وروح.....

لماذا الآن؟

تقف وتفكر فى لملمة مشاعرها وتتمسك بإعادة أحلامها للحياة.. لماذا استيقظت الآن وأين كانت من قبل؟

الأيام كانت تمر رتيبة.. نعم.. ولكنها تعودت عليها هكذا تظن.. لماذا بعد هذه السنوات تحن للماضي، للوطن، للأصدقاء وتعاود البحث عنهم وتبحث فى المستحيل.. العودة الآن مستحيلة.

ولكنها تكره هذه الكلمة.. إنها تعشق الحروب وتعرف أنه بعد الهزيمة سيأتى الانتصار.. دائما تعشق المحاولات ولا تكسرها الوقعات.

إنها تعود من جديد.. تبحث لنفسها عن بقايا خطوات لها بدأتها وهربت.. أتعود كما يعود الروح للجسد لحظة الحساب؟

أيامها بالغربة رتيبة.. الأيام متشابهة والساعات متطابقة والدقائق لا تمر.. الليل والنهار شيء واحد، والنسيان كالتذكر لا يعنى شيئا.. والشتاء والصيف لا يفرق إلا فيما ترتديه من ألوان.

مما كانت تهرب.. من فشل.. من مشاعر.. من مشكلات.. من ماذا؟ ماذا يستحق أن تسحق من أجله سنوات عمرها الجميل.. أمن المهم الآن أن تجاوب الأسئلة المهلك؟.. أم يكفيها إعادة اكتشاف نفسها ومحاولة اللحاق بالحاضر وترك الماضى يمرح فى فشله؟

ولكن لأكون منصفة.. هى لم تفشل بالعمل، وإن كان عملا لا تحبه ولكنها تعلمت وتعودت النجاح وأن ننجح فى شيئ لا نحبه قمة المأساة.. لأنه يتطلب منك أن تنسى ما تحب، ونحن لا نستطيع النسيان.. إننا نجمع الحب لنعيش الزمان.

هى قررت أن تعود هى لنفسها، لحقيقتها، لملامح وجهها ودقات قلبها.. ستعود وتتعرف على وجه العالم من جديد، بعيون جديدة رأت الكثير وبقلب مثقل بالتجارب المرهقة اللذيذة..

هى عاشت كما يتمنى أى إنسان عاقل أن يعيش مباهج الحياة.. تزوجت.. أنجبت.. نجحت.. سعدت.. أنفقت وتمتعت، ولكنها لم تسعد تلك السعادة التى نمتلكها حينما نفعل ما نريد، عندما نشعر بالحرية، عندما ننطلق لدنيا رسمناها بفرشاة أحلامنا بألوانها السعيدة.. وكانت حلم حياتنا..

قررت أن تعود بحلمها.. هذا الطائر الجميل، وتحط على شجرة واقعها الوارفة.. إنها ستعطى وتأخذ ما تحب.. ستتنفس حرية.. وتعيش على شواطئ أحلامها.. ولكنها ستعود، بل عادت على أول طائرة، ودقائق تفصلها عن الوصول.. إنها عادت سعيدة.

بلا إجابات بلا أسئلة عادت وكفى...

القدر

القدر.. أهو هذا الشعاع غير المرئى الذى يجمع بنى الأضداد، ويسير لنا حياتنا بكل جرأة، ولا نملك معه قرارا؟.. هذا الخيال الخاص بكل إنسان.. تلك اليد العابثة التى تلهو معنا بمجون، ثم وتعود وتوهمنا أنها قدرنا ولا بد من الاستسلام وإلا الضياع طريقنا..

القدر.. أهو الألم الذى يتكلم معبرا عن ذاته ولا نملك نحن إلا البكاء والاستسلام والتضامن معه محاولين تضميد الجراح.. أهو أغنية رومانسية عن الهجر والشقاء.. أم لوحة لفنان فقد الأمل ويعيش مرحلة النسيان؟

عندما يكون الخيال هو الواقع الحقيقي، والواقع شبه خيال ولا نستطيع أن نتفهم: كيف، ولماذا؟

وعندما يكون هناك التقاء بين الأبيض والأسود.. بين الليل والنهار.. بين العذب والمالح.. فثمة حقيقه لابد وأن نتقبلها، وهى أن هناك اختلافا، ومن الممكن لهذا الاختلاف أن يتلاقى بحب وجمال ..

الواقع: ما هو القدر الذى تحاول أن تقنعنى به؟

- الخيال: إننى أؤمن أن القدر جمع بيننا رغم أن حسابات الظروف التى نعيشها مستحيل أن تجمعنا معا. وقد كنت بخيالى وأحلامي.. أنا لم افعل شيئا.. القدر هو من أهداك إلي.. هو الوحيد الذى شعر بى وكم أحتاج إليك.. لذلك فإننى أحبك وأحب قدري.

الواقع: لا أؤمن بالقدر فى تحريك مياه حياتي.. القدر يتحكم فى مولدى ومماتي.. أما حياتى فلا سلطة له عليها، هناك يقبع داخلى عقل وإرادة هى من تسيرني.

- الخيال: ألا تلاحظين أن ما يحدث بيننا حتى الآن ترتيبات قدرية ليس لنا يد بها.

الواقع: ليس كذلك، وإنما ترتيب عقلينا معا واحتياج كل منا للآخر.

- الخيال: ماذا تقولين بأنك كنت تأتيننى فى أحلامى ولقائى بك دون موعد.

الواقع: أنت إنسان خيالى ورومانسى ويسهل عليك التحليق بعيدا.. هذه أمنيات أسقطتها علي.. وكم أخشى أن تستيقظ من حلمك وتتركني. أنت تقول أنك تحبنى بجنون وأخشى.. أخشى هذا الحب الرقيق الأخضر

السابح معك بملكوت آخر على أرض أخرى.. حبى أنا أعمق وأوقى.. لأنه حب عقل وواقع.

- الخيال : لكن كل شيء يحدث بيننا يؤكد أن الأحلام تتحول فى يوم ما إلى واقع.

الواقع: أنا من أحقق أحلامى بإرادتي، فحين أقرر أفعل ولا أترك أقدارا مجهولة تتلاعب بي.. أنا اخترتك، قررت أن تكون لى وأكون لك بكل واقعية.

- الخيال: أنا أحبك حبا ليس كحب بشر لبشر.. حب عمري.. اختزلته لك.. مشاعرى وأشواقى كانت تحرقنى بانتظارك انت .

الواقع: أنت لم تنتظرنى.. أنت اعتزلت العالم.. انزويت فوق صخور أفكارك.. وعبثت بك الرومانسية وتملكت منك أحزانك.. أنت ضعفت واستسلمت للآلام.. وأرى أنك تجمع أشلاء ماض تكسر وتفتت عظامه الآن.. أنت تحتاج إلى أن تعود أنت.. لا تستسلم لأحد حتى لي.. كن أقوى من كل الآلام.. ارفض، ناضل، افترس الحياة حتى تكون أنت.

- الخيال: لن أستطيع أن أفعل ما تقولين.. أنت قاسية.. أين قلبك؟.. ألك قلب؟ أقول أن القدر جمع بين قلبينا وتردين بكلامك هذا.. أحبك واستسلم لك وترفضين؟

الواقع: الحب فى رأيى ليس استسلاما.. الحب نضال وكفاح وانتصار..

- الخيال: أنت تصيبينى بالدوار بكلماتك الصادمة، لكنك لن تغيريني.. سأظل أنا بقلبى وسأتبعه.. سأكون أنا كما أنا، وسأحبك حتى لو رفضت.

الواقع: هذا ما أرفضه.. لا تدع شيئا على الإطلاق يقهرك.. لا تتبع أحدا بل اتبع ذاتك.. اتبع نفسك.. لن يحبك أحد أكثر من نفسك سوى أمك..

- الخيال: إذن ....

الواقع: الأيام ستثبت لكلينا من على حق، فالحوار بيننا طويل.. طول عمرنا.. سأرحل الآن.. لدى ما أفكر به لا نجزه.. وأنت؟ ..

- الخيال: لدى أنت من سأفكر فيها وأنتظرها.

الواقع: واهم أنت.

- الخيال: مسكينة أنت.

الواقع: لن اذوب فى خيالك ولن يقهرك واقعى. سنجتمع على سمو مشاعر وأحاسيس تمزجنا معا كيان واحد بكل مميزاتنا وعيوبنا سيقبل كل منا الاخر على علاته.. ولكن لن يكون ذلك قدر..هذه إرادة منا بأن نعيش.

خواطر

* دائما ما كنت أحزن عندما يسدل الستار بعد المشهد الأخير للمسرحية.. وكنت أبكى وأنا صغيرة عندما تلوح كلمة "النهاية" بعد اختتام الفيلم..

* من علمني؟.. من وضع بعقلى الصغير وتفكيرى المحدود وقتها وبقلب كالعصفور، أن النهايات أحزان ضرورى أن تبكى لها.. أهى فطرة أن نحزن؟.. هل كل النهايات موت وعدم؟ وهل الموت نهاية تستحق أن تبكى لها؟ أم أن لدينا بداية. أسئلة ليست وقتها اليس كذلك؟..

* من يملك القوة فقط هو من يحكم.. وما بين عقلى وقلبى مشكلات.. من أقوى من من.. لمن السلطة على من؟

* أرى ثمة انقلاب وشيك.. فهل أصمت وانتظر المنتصر؟.. أم أتخذ قرارا وأسبق الانقلاب بقرار تحفظ وانصياع..

* ويظل الليل عالمي.. بدايتي.. ونهايتي.. فرحتى وحزني.. مائى ولحظات عطشي.. سفينتي.. أبحر به مع أسراري. عالمى الخاص.

سيظل ليلى لى أنا حكايات وأسرار وأشياء عزيزة .. حتى لو تكررت الأعوام ومضى عام وجاء غيره ورحل من رحل وبقى من بقي، يظل ليلى صديقى يحمينى ويستر الآمى.

* حين يطارد عقلى سراب.. لا بد أن أوبخه، ألا أتركه، أن أنصحه.. فماذا أنا بغير عقل.. غير قلب يدق بلا هوادة.. هو الآخر قصة.. وأنا بينهما أبحث عن أمل عن معنى وإجابات لأسئلة مبهمة.. قصتى معهما مشكلة.

* عام مضى به ما به من ذكريات مؤلمة. وأحداث صاخبة.. ظلم وقهر.. قتل وعنف.. انكسار.. انقلاب.. خفقان قلب.. جنون عقل.. إغراق معانى وحسرات.. بعض الأفراح وقليل من أغنيات.. حاولت أن أزرع فيه بعض ثمار للعام القادم، علها تطرح أمنيات وأحلام مبهجة.

* أتمنى أن يكون القادم أمتع وأجمل لنا جميعا، فأنا لا أقوى على الفرحة بمفردى .. جميع أصدقائى دمتم لى بقلبى وعقلى وجميل تحياتى لكم فى نهايات عام تمزقنا فيه.. ليضمنا عام جديد، أتمنى أن نداوى جراحنا فيه أحبكم جميعا ..

رجل من ثلج

قبل أن أراك، كان قلبى يتألم فى صمت.. لا يسمعه غيري، وحين وجدتك زاد ألمى ووجعي، وأسمعت العالم أنيني.. سامحك الله وغفر لك.. ألا تشتاق كما اشتاق.. أنا لك، فلا تجعل المسافات البعيدة عنك تقتلنى أكثر.

لن أغضب؟ فالغضب لا شيء أمام جبال الثلج بقلبك.. فقط يقهرنى وأنا لن أُقهر.. لذلك لن أغضب منك وسأكتب أعذارا، وأقول جائتنى منك.. فهل تقبل ؟

لماذا..؟

لماذا النهايات الحزينة تعيش؟

لماذا الأشعار الباكية تدخل القلب؟

لماذا العيون الحزينة جميلة؟

لماذا الشعر الأسود مغري؟

لماذا الخريف صديق؟

لماذا الأسود عشقي؟

لماذا الدموع أنهاري؟

لماذا حبك أنت ناري؟

لماذا طريقى بدونك طويل؟

لماذا الروايات الباكية معك تجمعني؟

لماذا المدينة بغيرك صحراء قاحلة؟

لماذا عطرى لغيرك أكرهه؟

لماذا بدونك أنا ما عدت أنا؟

لماذا صوتى إليك لا يعود بك؟

لماذا كلماتى إليك ضائعة؟

لماذا أنت ولماذا أنا؟

أجبنى إذا كنت تعرف من أكون أنا لك.. أنا .....

وماذا بعد هذا الصمت؟

أتاتى الكلمات

أم ماتت فوق جبال البعد حرارة العبارات

من يدري

عن الغد

عن القدر

عنك

عن الحكايات

من يدرى

أهذا الصمت نهاية

أم هو كل الحكاية؟

حوار صامت

أنا وأنت وحوارنا الصامت

وكلماتنا الموزونة بالوجع

وقليل من الاقتراب المؤلم

والبعد والسفر

أنا و أنت .. فرسان لا نخاف الموت

فى المعارك ولا نترك الميدان

فليلزم كل منا موقعه ولنا بعد الانتصار لقاء

لو بالعمر مازال لنا باقى أيام

إعلان الحداد

قالت: ماذا حدث؟

قال: لا أستطيع

قالت: البقاء لله

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون

وأعلنا الحداد.. لبقايا مشاعر.. وقليل من الذكريات

القطار

إنها المرة الأولى التى تقبل فيها دعوة من شخص لا تعرفه.. ولكنه عل أية حال فنجان من القهوة، والطريق ما زال طويلا وتستطيع أن ترد عزومته.. جلست بجانبه.. هى لا تعرفه ولكنه رفيق سفر لبعض الوقت، جمعتهما الصدفة وضمهما مكان واحد..

ولكنها تستغرب كيف بدأت الحديث معه.. إنها محطات قليلة ويفترقان، ويذهب كل منهما فى طريق.. كحياتها تماما.. فهى ترى العمر كقطار يحمل حكايات، ذكريات فرح وألم، نجاح وفشل.

رجعت بخيالها إلى ذكريات مع أناس لم تنسهم ولن تنساهم، كل خط فى صفحتها سطر لن يمحى من ذاكرتها..

هى ما زالت تتذكره.. وكيف لها أن تنساه، وهو أول من رأت، وأول من أخبرها أنها جميلة.. ظنت بعمرها الصغير أنه فارسها.. تعلقت به هو

يكبرها ولديه من الخبرات ما يجعلها ريشة فى الهواء، وهذا ما حدث.. قذفها فى الهواء تصارع رياح وأعاصير ليست لها ولا وقتها..

شغلها بالأحلام، فهى صغيرة لم تعرف ترتيب الكلمات ولا تعى النظرات ودفئها.. ولم تكتشف معنى رجل، ومعنى أن ينظر فى عينيها ويحدثها رجل.. إنها تضحك الآن.. لوعدت كلماتها معه لن تكمل فقرة فى كتاب، أو مقطع لكتاب سياسي، فقد كانت تحاول نفى تهمة حبها وشغفها به، وكان يمتلك عيونا هى كالسهام، اقتلعت عقلها وتركت كيانها كله قلب ينبض ..

كم كانت طفله فى ثوب صبية على أعتاب السادسة عشر..

مازال القطار يسير على وتيرة واحدة.. كخطوات طابور الصباح لجنود فى معسكر.. خطوات جادة حادة.. تقتلع ما يقابلها من تضاريس خطها الزمان.. ولكنها لم تنس رد عزومة جارها على فنجان القهوة. ثم عادت من جديد لذكرياتها تنهل منها اشتياق الماضى بآلامه وأفراحه.. كيف تتذكر الماضى ولا تتذكره؟.. إنه ليس ماض رغم مرور الأعوام.. هو معها ماضى وحاضر، والمستقبل المجهول رغم انتهاء العلاقة.

ولكنها لم تكن علاقة بالمعنى المعروف.. هو أستاذها ومعلمها.. عرفها على أفلاطون وأرسطو وعشقت الفلسفة اليونانية، بل وتمنت أن تكون اميرة فى ذلك الزمن لحبها له وهو يشرح المادة..

كانت تذهب دائما مبكرا لتجلس أمامه وتسمع منه وتسمعه أسئلة كم سهرت ليلا لتحضيرها.. وبعد الانتهاء تذهب له وتناقشه وتجادله..

عرفها على المدينة الفاضلة، وشطح معها فى الوجودية ونيتشة.. تكلم معها عن فلسفة الجمال وكيف نشعر بالخير والفضيلة.. أسس عقلها لبناء اكتمل بعضه على يديها.. فارقها وفارقته بعد انتهاء دراستها.. ولكنه بكلياته لم يفارقها، علمها كيف تفكر وترى الوجود وتتأمل وكانت محطة أثرت فيها حتى الآن.

توقف القطار فى المحطة قبل الأخيرة.. وبدا على صاحبنا الجالس بجوارها رغبته فى أن يقطع الطريق بحديث شيق لكن لم يتم.. فهى غارقة فى بحار ذكرياتها.. وكأنها تسبح فى ملكوت آخر خال من البشر والوجود..

شعر هو بذلك فالتزم الصمت.. فى حين لم تلتزم هى إلا بخيالاتها التى شدتها وعادت بها لزمن قريب وجميل .. هذا الرجل الذى تريده وتتمناه.. هى لم تتمن رجلا، ولم تبحث عن رجل ولكنها ارادته هو..

شيء فيه يقول أنا لك خذيني.. هو من عمرها.. رجل سياسة مرموق أنيق يعرف قدر نفسه ويقدرها.. وله حضور عجيب، يشعرها بذاتهاأ بأنوثتها وجمالها وأنها حلمه الذى اكتمل بظهورها.. يمتلك الكلمات.. يستحوز على أى مساحة ولو كانت للآخرين.. لا تملك أمامه إلا الصمت لتسمع وتشعر.. رأت معه الليل والشعراء والموسيقى، فهو سياسى بلقب فنان.. رجل لا يتكرر.. ولكنه متزوج.. رغم انه عرض عليها الزواج.. ولكنها لم تفعل ولن تفعل .

لا يزال القطار يسرع ويسرع.. إنها المحطة الأخيرة.. وتذكرته، إنه الرجل الوحيد الذى لم يفكر بجمالها ولم يتحدث عن أنوثتها، حتى أنها شكت فيه، وفى قواه العقلية..

كان يخاطب طول الوقت عقلها، وأفكارها.. وهى تستمتع بالحديث معه.. كل كلمة يأتى بجديد يبهرها، ويخطفها من عالمها لعوالم أخرى.. إنه قاموس فى كل شيء.. لديه القدرة على إدارة حديث وعدم الانتهاء منه..

كان نجما لأى مكان يذهب إليه.. لكنه ترك الجميع والتقطها، هكذا قال لها.. رأى فيها عقلا راجحا وسلاسة فكر وعمقا فى الإحساس. غطى لديها مساحة أشبعت رغبتها بالمعرفة، واكتملت ذاتها به، هى لم تنته معه، بل بدأت ولا زالت بل لا تستطيع أن تبعد عنه.. هو عقلها وجنونها ..

وصلت إلى المحطة الأخيرة والكل يسير هنا وهناك، من معه حقيبة ومن يحمل فقط نفسه وكفى .. يمين وشمال، الكل يسير محددا الهدف والاتجاه.. الكل ينظر للطريق، والقطار يستعد لرحلة أخرى بأناس آخرين لديهم أحلام وذكريات وخيبات أمل وبعض نجاحات.

شكرت جارها وشكرها.. ورحل عنها.. هو لغز كان يجلس بجانبها.. كيف سرحت كل الطريق مع نفسها وتركته؟.. أين فضولها الأزلي؟.. أين حبها فى اكتشاف الآخرين؟.. أم سرقها وخطفها القطار من الواقع ولم يتركها إلا فى المحطة الأخيرة.. هنا فاقت وكان لا بد وأن ترحل..

الرسالة الأخيرة

ستبرئين .. أرسل لها كلمة واحدة على هاتفها الجوال، بعد قطيعة استمرت شهر وبضعة أيام بحساب أهل ألارض.. ودهر طويل بحسابات أهل الهوى والحب.

ستبرئين .. وهل جزاء الحب إلا الحب.. فعن أى هجر وفراق يحدثها؟.. أشعل بقلبها الحريق، وداعب عقلها وليلها وقال لها: «أنت لى وإن لم تكونى فأنت لي».. وعاد وتركها.

قال لها: «أنت قاسية، لأنها ترفض بعض لقياه...هى تتذكر كلماته وسكناته والتفاتاته، وكانها الان حادثته... يمزقها وعقلها ..ويطلب لها أنتظار ان تبرأمنه ..

كيف ..؟ ولماذا ؟ كرهت اللغة العربية وضرورة التفسير تكذب نفسها.. سيعود.. تكتب له

تتوعده وتوعده.. تقربه وتبعده.. ما لهذه المرأة مع هذا الرجل؟.. ما قصتهما معا، وكيف أصبحا؟

إنهما يعيدان قصص الهوى الذى يتلذذ بالعذاب.. والألم يخرج أجمل ما فيهما.. هما لا يريدان الالتقاء المادي.. التقاء سلام باليدين أو ملامسة الجسد للتأكد من الحضور.

إنه حب آخر طائر يستيقظ ويغفو على أغصان الحرية.. يحط على الأزهار ويمتص الرحيق ويخرج أعذب الآهات والعذابات ..

حب ليس له ترجمة فى هذا الزمان.. عيون ترى ببعد المسافات.. دقات قلب يسمعها القاصى ولا تخطئها الآذان.

كيف هان عليه الهوى.. وينعتها بالمرض، ويقول ستبرئين.. فما شفاها الله منه، إن كان هو مرضها.. وإن كان هواه علتها، أعانها الله على حمل آهاتها.

إنها تحب الحب من أجل حبه، فبغيره تختفى كلمات الحب.. تغرق هى فى عينيه وهمساته، تحملها لداخل أعماقه، تغوص فيه، تنام بقلبه وتستظل بظل عنفوانه.

يعشق عطرها، يتغزل بخصرها، ويجذبها بعنف لحضنه الدافئ الوثير، ويقول فيها آيات هيام.. يسرقها من كوكبها ويحط معها طائرا فوق سحاب.

عاشقين يخطوا ابيات شعر ا منغم .ويعود ليقول لها ستبرئين .. مما ومن سيبريء القلب منه؟.. إنها العليل الوحيد الذى اذ بريء من المرض يموت..

حين تغضب يراسلها.. يهدهدها.. «صباحك سماح ومساؤك كذلك فلا تغضبي».. فتنسى مما غضبت، يكفى أن يتمتم لها لتهدأ.

ما هذا الشيء الصعب على الفهم الذى يسلك داخلها بلا عناء.. لماذا هذا الخيط الرفيع بينهما؟.. هو يجذبه تارة وهى تارة أخرى.. ويحافظان على المسافة .. ويحنوان عليه حتى لا ينقطع.. هو الحبل السرى الذى يحفظ لهما الحياة ..

«لن تكونى عاشقة ما لم تكونى مجنونة.. حين نظرت لعينيك رأيت لهيبا وإعصارا من الجنون.. ارتجاف شفتيك تكلم وقال لى كثيرا.. أكثر من كلامك أنت .. بعض من كلماته إليها.. آه منه نفذ إليها، ولن يتركها.. إنها تعرف ذلك وتوافق.. هى لا تملك غير أن توافق.. وهل فى الهوى مجنون يستطيع أن يقرر أو يهتدى بغير دليل القلب؟..

هو من ناجاها متوسلا: «اقبلينى بجنوني.. برقتي.. بحناني.. وبعنفي».. فقبلته، والآن يقول ستبرئين.. إنها تحفظ كلماته ونطراته وتعرف مشاعره، فهو توأم روحها.. إنهما شبيهان..

هو كالإعصار يقتلع كيانها.. يرجرج فراغ نفسها.. يملأها مشاعر وحياة.. معه كانت طائر بلا أجنحة، يطير بلاحدود ولا مكان منشود.. تعبر معه جبال وسهول.. أمطار وأعاصير.. وفصول تأتى وتروح.. عاشت تقلبات الزمان.. كانت أميرة وحبيبة، وأحيانا طبيبة..

إنها أحبته، وهذا قدرها.. أن تتم فصول حياتها به.. هذا قدرها.

سترد على رسالته.. رغم أنها تهوى صوته ويهوى صوتها، وتحبه ويحبها، ولكنه هذا الحب المجنون فى الزمن المجنون، والوقت المجنون.

ردت عليه برسالة: إن كنت أنت مرضى فلا شفانى الله منك..

ماذا عساه يقول؟